تأثير اللغة العربية على اللهجات الإفريقية

لهجة القرعان التشادية نموذجا

بحث للمشاركة في المؤتمر الدولي الثاني

للغة العربية الثانية

دبي مايو 2013م _ جمادى الآخر 1434ه

الباحث/د . إسحاق عيسى يوسف

نائب برلماني بجمهورية تشاد

مقدمة

لاشك أن المعلومات عن شعوب القارة الافريقية تتسم بالندرة ,وان وجدت فهي متناثرة في مصادر متعددة , أغلبها كتب باللغات الاوروبية ,فيغلب عليها الجانب التاريخي والسردي, والمخطوطات العربية في المنطقة تقدم معلومات هامة,أما دراسة الشعوب

وآدابها ولهجاتها فتكاد تنعدم في المصادر العربية , ولهذا فقد جاء البحث عبارة عن دراسة مقارنة بين العربية واللهجة القرعانية التي يتحدث بها مجموعة من القبائل في شمال تشاد , وتناول الباحث مكانة اللغة العربية في المجتمع الإفريقي وعدد الدول الإفريقية التي إعترفت بالعربية كلغة رسمية لها , وتطرق أيضا الى التاريخ والسكان والجغرافية وغيرها من الموضوعات الفرعية , وتناول أيضا الباحث تأثير العربية على بعض اللهجات الإفريقية الكبرى آخذا الساحلية كنموذج من حيث الكلمات الموافقة للعربية من اللغة الساحلية , ثم كان الحديث عن قبيلة القرعانية وخلفية تاريخية لها , ثم تناول البحث الكلمات والحكم والأمثال القرعانية الموافقة للغة العربية

المبحث الأول

مكانة اللغة العربية في إفريقيا

أظهر أحدث تقارير الأمم المتحدة فيما يخص اللغات في العالم أن 50% من سكان الأرض يتحدثون ثماني لغات فقط من أصل ستة آلاف لغة تُستخدم اليوم في المعمورة، وأورد هذا التقرير أن اللغة العربية من بين هذه اللغات الثماني، وقد جاءت متفوقة على اللغة الفرنسية واللغة البرتغالية من حيث عدد المتحدثين بها؛ فلا عجب أن صارت اللغة الرسمية السادسة في الأمم المتحدة في عام 1974م(**http:// www.Kikah .com/Index arabic.asp**).

وفي الوطن العربي تُعد اللغة العربية اللغة الأصلية «Primary» لأكثر من 20 قطراً، تبدأ من المغرب وتنتهي بالخليج العربي، كما تُعد اللغة الأولى لأكثر من 195 مليون نسمة، ويتحدث بها على الأقل 35 مليون نسمة كلغة ثانية(**http://arabworld.nitle.org/introduction.php? module. id=1**).

أما إفريقيا فاللغة العربية هي اللغة الرسمية لتسع أمم (دول) إفريقية، هي: مصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا والسودان وتشاد وجيبوتي, ويُتحدث بها بصورة واسعة في بعض دول وسط إفريقيا وشرقها، مثل: الصومال وإثيوبيا وإريتريا وجمهورية إفريقيا الوسطى وتنزانيا (زنجبار)، كما تُعد لغة شعائر دينية لأكثر من 430 مليون مسلم في قارة إفريقيا، وتُستخدم اللغة الفصحى (من العربية) في الكتب والصحف وبرامج التلفزيون والراديو، وللأغراض الرسمية وفي الأعمال السياسية, كما أن معظم الأدب يُكتب بها(**http://www.zuhlool.org/wiki/**).

تحتل اللغة العربية مكانة عالمية في معظم الدول الإفريقية، وذلك من أجل اختيار لغة مشتركة لإفريقيا تدرس في البلدان الإفريقية كافة، لتكون أداة مشتركة بين شعوبها وعنواناً لاستقلالها وعاملاً لتعميق وحدتها وجمع شملها, فلا توجد لغة إفريقية تستطيع القيام بهذه المهمة سوى اللغة العربية.

ويدل على ذلك بعض الحقائق:

- من الناحية السكانية:

نجد أن نسبة السكان الذين ينطقون باللغة العربية ثلث سكان قارة إفريقيا تقريباً, حيث يبلغ إجمالي عدد سكان القارة بحسب إحصاءات الأمم المتحدة قرابة المليار نسمة قبل نهاية عام 2009م، موزعين في 53 دولة.

كما يُقدر عدد المسلمين في إفريقيا بأكثر من 50 %، يعيش أكثر من 76% منهم تقريباً في الأقطار الإسلامية، أما الباقي، أي ما نسبته 24% من مجموع المسلمين، فيعيشون في أقطار غير إسلامية.

- من الناحية الجغرافية:

تشكل الأرض العربية أكثر من ثلث مساحة إفريقيا؛ إذ يبلغ مجموع مساحة الأقطار العربية الإفريقية (4,680,951) ميلاً مربعاً من مساحة إفريقيا البالغة (11,690,000) ميلاً مربعاً.

- من الناحية السياسية:

يبلغ عدد الدول العربية الإفريقية تسع دول عربية تقريباً، أي سدس عدد الدول الإفريقية البالغ ثلاث وخمسين دولة، ويتمتع معظمها بأهمية سياسية عالمية وإفريقية، ويؤدي ممثلوها دوراً مهماً في المحافل العالمية والإفريقية.

- من الناحية الدينية:

من المعروف أن اللغة العربية هي لغة الدين الإسلامي الذي تدين به غالبية الشعوب الإفريقية.

- من الناحية التاريخية:

إن أكثر الممالك التي ازدهرت في إفريقيا في السنوات الألف الأخيرة استخدمت اللغة العربية لغة للإدارة والتعليم، كما كان الحال في مملكة كانم ومملكة مالي ومملكة غانا(**دائرة المعارف الإسلامية، ج 12 / ص 238**).

المبحث الثاني

تاريخ اللغة العربية في إفريقيا

قامت في إفريقيا خلال فترة العصور الوسطي (القرن الثامن الهجري / القرن السادس عشر الميلادي) ممالك إفريقية إسلامية سادت ردحاً من الزمن في شرقي القارة وغربيها، وقد أسهمت هذه الممالك إسهاماً إيجابياً في نقل الحضارة والفكر الإسلامي

والعربي إلى تلك المناطق، كما ساعدت على نشر التراث الإسلامي، هذا بالإضافة إلى الدور الذي قامت به في تاريخ المنطقة اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً.

لقد استمر دفع الحضارة الإسلامية في إفريقيا في الانتشار والازدهار، حتى بلغ أقصي مداه وانتشاره في أيام الخلافة الصكتية في القرن التاسع عشر

(طرخان، إبراهيم علي: مقال الإسلام واللغة العربية في السودان الأوسط والغربي. مجلة جامعة أم درمان الإسلامية، ص 36 - العدد الثاني 1389هـ / 1969م.).

وقد ارتبط انتشار اللغة العربية بالدعوة الإسلامية في بلاد السودان الأوسط والغربي – كما في غيرها من المناطق –، وسار الإسلام واللغة العربية جنباً إلى جنب مع الجهاد في سبيل نشر الدين وتوسيع رقعة البلاد الإسلامية، فضلاً عن تنشيط الحركة التجارية، وقدّر المسلم في بلاد غربي إفريقية اللغة العربية تقديراً يقرب من التقديس؛ لأنها لغة القرآن، بها يؤدي صلاته، وبها يتلو قرآنه، ويقرأ علوم الدين. والدعوة الإسلامية تشجع التعليم وتجعله جزءاً لا يتجزأ من الدين، كما أن المجتمع المسلم يقدّر العلم ويجعل للعلماء منزلة جدّ عظيمة.

لقرون طويلة والقلم العربي هو القلم المعروف في إفريقيا دون غيره، فقد كانت هناك علاقة تجارية قديمة بين البلاد التي كان العرب يطلقون عليها اسم «المغرب» وبين البلاد الواقعة جنوب الصحراء الكبرى، وكان ذلك قبل القرن السابع الميلادي؛ أي قبل دخول الإسلام في القارة الإفريقية.

اشتهرت عدة طرق للقوافل، كانت تبدأ من مراكش وتلمسان وتونس وطرابلس ومصر؛ متجهة إلى الجنوب لتجتاز الصحراء الكبرى وتصل إلى المراكز التجارية الرئيسة في غربي إفريقيا، مثل غانا القديمة، وإلى تمكبتو وولايات الهوسا وكانم وبرنو وغيرها.

ذكر بعض المؤرخين أن التجارة ظلت لعدة قرون بأيدي الإغريق والرومان قبل دخول العرب والإسلام إلى المغرب، ثم تولاها العرب بعد فتح شمال إفريقيا ودخول الإسلام إليها، فأصبح العرب بعد ذلك يجتازون الصحراء الكبرى ويتوغلون في إفريقيا التماساً للرزق, وكانوا يتاجرون في البضائع التي كان يتاجر فيها من قبلهم التجار الذين كانوا يُحضرون معهم إلى غربي إفريقية تلك البضائع المطلوبة, كالحرير والسروج والسيوف والنحاس والملح والأدوات وأنواع شتى من المنسوجات, فيبيعونها ويشترون الذهب والجلود والعاج والعبيد وغير ذلك**(د. السر سيد أحمد العراقي: انتشار اللغة العربية في بلاد غربي إفريقية عبر التاريخ. مجلة دراسات إفريقية - مركز الدراسات الإفريقية - جامعة إفريقيا العالمية بالسودان، العدد الأول - رجب 1405هـ، ص 101 – 103.)**.

إن العلاقات التجارية بين العرب وغربي إفريقيا، والتي بدأت في القرن السابع الميلادي وازدهرت بعد القرن الحادي عشر الميلادي، كانت هي المقدمات الأولى لانتشار اللغة

العربية في إفريقيا، ولقد نمت هذه العلاقات بطريقة سلمية طبيعية منذ ذلك التاريخ إلى أن بلغت أوجها بانتشار الإسلام في القارة الإفريقية, فالتجارة بطبيعة الحال تلزمها لغة التخاطب بين البائع والمشتري كما تولد الصلة بينهما، وبما أن اللغة العربية كانت أرقى من اللغات المحلية؛ فمن الطبيعي أيضاً أن يلتقطها التجار والأهالي من العرب وينشرونها فيما بينهم.

هذه العلاقة التجارية إذن هي التي وضعت حجر الأساس للعربية في إفريقيا، وبدأ أولئك التجار يُدخلون كلمات وتعابير عربية في تلك المناطق، فانتشرت تلك الكلمات والتعابير تدريجياً حتى توغلت في ربوع إفريقيا واندمج بعضها في اللغات المحلية وخصوصاً بعد انتشار الإسلام، ومما يؤكد هذا وجود كلمات عربية كثيرة في بعض اللغات الإفريقية مثل لغتي الهوسا والفلاني (الفولي)، وبخاصة أسماء تلك البضائع التي كانت تصدر إليها من المغرب في تلك القرون الغابرة، وهذا فضلاً عن الكلمات والتعابير الإسلامية التي دخلت مع دخول الإسلام، فنجد في لغة الهوسا مثلاً أن أسماء هذه البضائع عربية، فكلمة السرج والحرير والزعفران واللجام والقلم والدواة وأمثالها كلها وافدة على لغة الهوسا وتُنطق بتحريف بسيط.

لذلك يمكن القول إن اللغة العربية قد تركت آثارها في عدد من اللغات المحلية لدرجة كبيرة، وظهر هذا الأثر واضحاً في لغة الهوسا وصنغي والفلاني، ويوجد في هذه اللغات الكثير من الكلمات ذات الأصول العربية، بل إن الحروف العربية استُخدمت في كتابة لغة الهوسا منذ زمن مبكر، كما استُخدمت في اللغة الفلانية(**موقع العالم العربي: http://arabworld.nitle.org/introduction.php? module. id=1**).

لقد ساعد على انتشار اللغة العربية والتمسك بها - فضلاً عن الجانب الديني المرتبط بها - أن الكثير من الشعوب الإفريقية في السودان الأوسط والغربي قد ادعت الأصول الشرقية، فقد ادعي ملوك مالي والتكرور وصنغي وبرنو والهوسا والفلانيين وغيرهم؛ أنهم انحدروا أصلاً عن العرب، وأن أسلافهم الأوائل جاؤوا من الشرق.

ومن العوامل التي ساعدت على انتشار اللغة العربية في إفريقيا الإسلامية هجرة القبائل إلى تلك البلاد واستقرارها فيها، وهذه الهجرات قديمة وسابقة على دخول الإسلام، وازدادت بانتشار الإسلام، ثم إن مصاهرة العرب والبربر مع القبائل الإفريقية ساعد على انتشار اللغة العربية بجانب الإسلام، مثل قبائل شوا والفلاني والماندنجو.

وظفر الإسلام واللغة العربية بنجاح كبير في هذه البلاد، فأدى ذلك إلى تقدمها وتطورها، فتطلعت إلى البلاد الإسلامية في الشمال والشمال الشرقي من أجل العقيدة والمدنية، ولم تحل وعورة الصحراء دون اجتيازها، ويقترن العهد الزاهر للغة العربية والعلوم العربية الإسلامية في غربي إفريقيا بعهود الإمبراطوريات الإفريقية الإسلامية الكبرى بغانا ومالي وصنغي ثم برنو فإمبراطوريات الهوسا والتكارنة والفلانيين, فقد كانت اللغة

العربية اللغة الرسمية السائدة فيها, واستُخدمت في شتي الأغراض وأوفت بها، استُخدمت في مجال الحكم والإدارة والقضاء، واستُخدمت في المكاتبات الرسمية بين هذه الدول وبين العالم الإسلامي الخارجي، ووجدت في الدواوين المصرية زمن المماليك صيغ عربية خاصة لمخاطبة ملوك تلك البلاد، لتصدير المكاتبات بها.

يتضح من هذا العرض السريع أن اللغة العربية كانت اللغة العالمية في العصور الوسطى في جميع البلاد الإسلامية, واستمرت كذلك حتى قيام الخلافة السوكونية التي أسسها الشيخ عثمان فودي في أول القرن التاسع عشر، وعاشت حتى مطلع القرن العشرين، فكانت اللغة العربية طيلة هذه القرون هي لغة الدين والثقافة والتجارة، ثم هي لغة الحكومة والإدارة والقضاء، كما أصبحت لغة تخاطب في كثير من البلاد مع وجود اللغات المحلية كلغة الهوسا والفلاني والبرنو وغيرها، ثم هي من بعد لغة المراسلات الدولية والوثائق والمعاهدات, بمعنى آخر: كانت اللغة العربية هي اللغة السائدة (Lingua Franca)(11)، وكانت كتاباتهم بالخط العربي على طريقة المغاربة، وقد ورد إلى السلطان الناصر كتاب من موسي (سلطان مالي) بالخط المغربي(**أيوب,محمدصالح:"وسط إفريقيا بين الثقافة الإسلامية والغربية(تشاد نموذجا,ط1,ص174)**).

أما في الشرق الإفريقي فيرجع مؤرخو العرب الأوائل، ومنهم المسعودي، سكان القرن الإفريقي عامة إلى «كوش بن حام»، ويقول محمود محمد الحويري: إن سكان كل من بلاد الصومال وإريتريا والحبشة يرجعون إلى أصل حامي قديم دخل شرق إفريقيا من جزيرة العرب.

وهناك إشارات وآراء تذهب إلى أن الحاميين انتشروا في كل من الشمال والشرق الإفريقي.

وقد انقسموا إلى فرعين رئيسين، هما:

1 - الحاميون الشماليون: (وهؤلاء لن نقف عندهم لبعدهم عن موضوع البحث).

2 - الحاميون الشرقيون: ويشملون كلا من المصريين القدامى منهم والمحدثين، مع ملاحظة الامتزاج بالدم الأجنبي في الطبقات العليا في حالة المصريين المعاصرين، إلى جانب البجا والنوبيين أو البرابرة والقالا والصوماليين والدناكل ومعظم الأحباش على الرغم من اختلاطهم بالساميين والزنوج(**دائرة المعارف الإسلامية، ج 12 / ص 87.**).

ولعل شدة التشابه العرقي واللغوي بين الشعوب الإفريقية من منطقة القرن الإفريقي الناطقة باللغات الحامية أو الكوشية، والشعوب الناطقة باللغات السامية كالعرب والأحباش؛ جعلت بعض الباحثين يرجّحون أن هاتين المجموعتين قد عاشتا في موضع واحد ردحاً من الزمن.

وقد استقرت جموع العرب في الساحل، فنشأت مدن تجارية عربية مثل مقديشو ومصوع وممبسا وسواكن ودار السلام، بل إن العلاقة التجارية في هذا الجزء من إفريقيا مع العرب كانت قديمة، حيث كانوا على صلة بالساحل الشرقي منذ أكثر من

ألف سنة. (**موقع مبارك** **http://www.mubarak-inst.org/stud.../research_view.php?id=**)

ليس من قبيل المبالغة أو التزيد أن نعتبر الصلات الإنسانية بين سكان القارة الإفريقية قديمة قدم الإنسان الذي استوطن هذه القارة متنقلا بين أرجائها , والواقع أن هذا الطرح يستلزم منا الحذر والحيطة , لأن هؤلاء اللغويين وهم ينحون هذا النحو يسعون عن قصد وبخلفية مبيتة إلى اعتبار الحضارة العربية الإسلامية لم تستطع أن تلقي بظلالها الوارفة على القبائل الإفريقية بل ظلت منحصرة على في الجانب التعبدي ليس إلا, لذلك تجدهم لا يخفون غبطتهم ونشوتهم العميقة في خلاصاتهم النهائية بعدم تأثيرالعربية في اللغات الإفريقية حيث يؤكدون على تقهقر لغة الضاد أمام اللغات الأوروبية في الأطلس اللغوي الإفريقي .

إن تأثر اللغات الإفريقية بالمعجم الديني الإسلامي حقيقة لا مراء فيه , شرط أن يتم تناول ظاهر التاثر في بعدها العام ويمكن أن نتناول الواقع التاريخي لهذا التأثر والتأثير قبل الإسلام وبعده من خلال مايلي:

- الواقع التاريخي :-

(1)قبل الإسلام : لقد حاول بعض المؤرخين المحليين أن يرجع تأثر اللغات الإفريقية بالعربية إلى ما قبل الإسلام حيث أكدو بأن هناك مجموعة من الأسر المعروفة في بلاد السودان , ترجع أصولها إلى القبائل العربية حيث هاجرت من اليمن والعراق وأرض كنعان واستقرت في جنوب الصحراء , بل إننا نجد سكان برنو يذهبون إلى كونهم ينحدرون من نسل سيف بن ذي يزن البطل العربي المشهور , (**تأثير اللغة العربية في بعض اللغات الإفريقية ص129**) وهناك تأثير كبير للغة العربية على لغة البانتو الأصلية لسكان السواحل الشرقية لإفريقيا, وقد دخل بفعل التاريخ منذ قرون سحيقة عدد كبير من المفردات في الكثير من اللغات الإفريقية , حيث ترى مجموعة من اللغويين المتخصصين أن المنطقة الكائنة بين تشاد والنيل قد عرفت مجموعة من اللهجات العربية قبل الإسلام وأنه في أثيوبيا كانت اللغة الامهرية وهي من الساميات لغة الأستقراطية

,كما أن إفريقيا عرفت بعض اللهجات العبرية التي كانت منتشرة بين يهود الفلاشا(**ندوة أعمال التواصل عبرالصحراء ص129**)

(2) بعد الإسلام: فلا يخفى أن اللغات الإسلامية من فارسية وتركية وأمازيغة وغيرها قدتأثرت جلها بالأسلوب العربي واقترضت عددا كبيرا من المفردات العربية التي تتوزع بين حقول دلالية تهم مختلف مناحي الحياة ومطالبها في الحضارة العربية الإسلامية ,ونفس الشيء يصدق على اللغات الإفريقية أنطلاقا عما نتج من تجاوب تلقائي وعفوي بين الأفارقة والمسلمين في شئون الحال والمآل .

ويمكن ان نتحدث عن هذا التجاوب والتواصل للافارقة من حيث الواقع التاريخي الذي له دور كبير في الواقع اللغوي لا محاله من خلال مجموعة من المستويات التي تعكس الحضارة العربية الإسلامية في طابعها الشمولي دون الإعتماد فقط على الجانب الديني التعبدي كما يصر البعض .

- ❖ من حيث الجانب الإقتصادي فمن المعروف أن تجار العرب والأمازيغ المستعربين الذين كانوا يرتحلون إلى السودان الغربي من أجل التجارة وإبرام الصفقات وبين الدعوة لبث العقيدة الإسلامية ونشرها ,و كانت التجارة تستدعي لغة للتخاطب والتبادل فلا بد أن يتم الإختيار بين اللغة العربية واللغة المحلية ,ولقد كانت الأولى هي المؤهلة لغناها ورقتها إلى الإضطلاع بهذا الدور ومن ثم أتيحت للألفاظ والتعابير التجارية العربية أن تتسرب الى اللغات المحلية ,ولقد كان اثر العربية في لغة الهوسا مثلا قويا جدا لأنها كانت ولا تزال لغة التجارة في أسواق غرب إفريقيا بلا منازع , وبذلك يمكن إعتبار التجارة هي نقطة إنطلاق تسرب وإنتشار اللغة العربية داخل اللغات الإفريقية.

ـ **الواقع اللغوي** : بالرجوع إلي الدراسات المنجزة في هذا الإطار يتضح لنا أن اللغات الإفريقية اقترضت مجموعة من المفردات العربية المنتمية إلى حقول دلالية مختلفة ، ومما يؤكد عمق حضور اللغة العربية في إفريقيا أن نجد لها بصمات واضحة في لغات تتحدثها شعوب لا يشكل المسلمون منها إلانسبا قليلة كاللغة الملغاشية التي جمع حلمي شعراوي نماذج مما كتب حول العلاقة القائمة بينها وبين اللغة العربية معززا بحثه بمشاهدات ميدانية ولكي نقدم تصورا واضحا عن تأثير اللغة العربية في اللغات الإفريقية سنضرب المثل لأكبر لغة يتحدث بها عددكبير من أبناء القارة وهي:

السواحلية

إن أصل اللغة السواحلية من لغة البانتو التي تتفرع إلى عدة لغات ,وتنتشر السواحلية في أقاليم واسعة تمتد على طول الساحل الشرقي إلى موزمبيق في الجنوب وتمتد في عمق القارة غربا إلى منطقة كاتنغا في زائير ويمكن ان نسوق تمثيلا للمفردات التي اقتبستها السواحلية من اللغة العربية وهذه المفردات تعود إلى حقول دلالية مختلفة :

قائمة كلمات في اللغة السواحلية المتواطئة مع المفردات العربية

الكلمة باللغة السواحلية	الكلمة باللغةالعربية
داكا	دكان
tajiri	تاجر
mali	مال
GALI	غالي
ABIRI	عابر
SOUGOU	سوق
NIMA	نعمة
WARAGA	ورقة
HIKAYA	حكاية
SIYASA	سياسة
HIBA	هبة
AROUCI	عروس
JAMHOURI	جمهوري
GAFLA	غفلة
BEY CHIRA	بيع وشراء
GARAMA	غرامة
RAKHIC	رخيص
MAHKAMA	محكمة
MAGOULAT	معقولات

GHALILI	جليلي
KHATIA	خطيئة
EIBE	عيب
GHOURFA	غرفة

ومن أساليب أخذ السواحلية عن العربية أنها تكرر بعض الكلمات جاعلة من المجموع كلمة واحدة فمثلا نجد:هلا هلا أي حالا وسوا سوا أي سواء , وقد يأخذون جملا ويصوغونها في لفظ واحد كقولهم للتشكر أسنت يعني أحسنت,ويتغير نطق كثير من أصوات الحروف العربية عند دخولها على اللغة السواحلية وهكذا تنطق الحاء والخاء والهاء هاءا ,والعين تصبح همزة مثاله : العسل: أسلى, العمارة :إمارة , والقاف تصير كافا مثل: كابيلا أي قبيلة,كافلا يعني القافلة والطاء تصبح تاء مثاله كلمة طيب يقال في السواحلية تيبو .

واللغة السواحلية قد تعوض السكون في العربية بالكسرة أوالضمة أو الفتحة نحو مرجان:مرجاني ـ حسرة : حسيرة ـ صنف: صنيفي ـ مدرسة: مدرسة ـ قهوة: قهوة ـ صفر :صفيري ـ قصد: كسدو ـ حزن : حزونو .
والكلمات العربية عندما تدخل السواحلية قد تطرا عليها زوائد فتصبح غامضة لا تعرف بعد روية وإمعان نحو : شغوليكا يعني الشغل

وفي هذه الفقرة الاخيرة سوف أتناول مبحثا مهما في الكلمات والحكم والأمثال من اللهجة القرعانية التي تواطأت مع العربية الفصحى وقبله سأقدم له بمقدمة مهمة عن الخلفية التاريخية لهذه القبيلة(القرعان) بشكل مختصر وأدخل في الموضوع بعد ذلك.

المبحث الثالث

خلفية تاريخية عن قبيلة القرعان

يرجع البعض أصل هذه القبيلة إلى قبيلة التياها الساكنين في الأراضي الواقعة بين فضاء الخليل والبحر الميت وبين أراضي الجبارات والترابين والغزازمة والبعيدين وتعود أصولها إلى بني عقبة وتتألف من 26 عشيرة ,ومنها ظلام أبي ربيعة وأقسامهم : ربيعان , والمحمدون ,والقرعان هذه كلها بالنسبة لقبائل القرعان في الجزيرة العربية لكن القرعان الذين يقطنون في تشاد يسمون عند مؤرخي الغرب بمصطلح التيبوا لكن السؤال المطروح أين أخذ تسمية تيبو بهذا الإسم ؟

عرف هذا الشعب بين الشعوب المجاورة بهذا الإسم , ولكن هذا الإسم لم يظهر في كتابات الرحالة والمؤرخين إلا متأخرا ,فإن المصادر التي وقعت تحت أيدينا تقول : بأن الرحالة أوليان الذي أنطلق من سبوة مصر وعرج على المزرق ومر بأوجلة سنة 1799م استعمل هذا الإسم وكتب هكذا تببوا واستعمل هذا الإسم أيضا ابن عمر التونسي سنة 1851م وكتب هكذا التبو , وأستعمله كذلك الرحالة الألماني نشتيجال عام 1855م وكتب هكذا التببو واستعمل على هذا النحو كل من ابن خلدون والإدريسي وغيرهم من المؤرخين(**التبو ودورهم في مملكة كانم الإسلامية ,حسين يوسف محمد,دبلوم عالي ص80**) وهم أغلب سكان الصحراء هم والعرب ويتركز التيبوا(القرعان) في المناطق الصحراوية القريبة من الصحراء الليبية وصحراء النيجر وصحراء تشاد ويقدر عدد التيبو خلال الستينات من هذا القرن (195,000) نسمة ويتكلم التيبوا لغة خاصة بهم وهي الدزاغا ... ويرجع أن التيبو أعتنقوا الإسلام في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلادين .

يشير صامويل ديكالو إلى أن التبو قوم يتصفون بالإستقلالية أي بكراهيتهم لأي سلطة مركزية وسياسية ويتصفون بقلة الكلام وهم أشداء غزاة كانوا يفرضون الإتاوات على قوافل الصحراء

والتيبوا فرعان :

ـ التيدا: وهم يعيشون في تيبستي

ـ الدازا : فتضم أربعة عشرة قبيلة ,أكبرها الكريدا تعيش في منطقة بحر الغزال(**العلاقات الليبية التشادية 1842-1975م,سعيد عبدالرحمن الحنديري,منشورات مركز جهاد الليبيين,طرابلس,ط1983م,ص37-38).**

والقرعان هم من أعرق القبائل في إفريقيا وأكثرها تأثيرا في القارة وعن طريقهم تمدد الإسلام وأنتشر في إفريقيا .ويتحدث **الدكتور أحمد شلبي** بأن السكان الأصليون للمنطقة

هم الحاميون وهم يعيشون في النصف الشمالي للقارة تقريبا وينحدرون من القوقازية ,وينقسم الحاميون إلى فرعين كبيرين هما: الحاميون الشرقيون والحاميون الشماليون .وفي القسم الأول يدخل المصريون والنوبيون وقبائل البجة والجالا والصومال والاحباش وفي القسم الثاني يدخل البربر والطوارق والتيبو سكان الصحراء(**موسوعة التاريخ الإسلامي:ج6ص62-63,أحمد شلبي,ط5-1990م مكتبة النهضة المصرية,القاهرة)**

والتيدا أنتشروا في الإقليم الشمالي والصحراء الليبية والكفرة ,وما وراء والاها,أما الدزا فكانوا يعيشون في مناطق تبستي وبركوا وإنيدي ,وهذه تعد أهم مدن الإقليم الشمالي الصحراوي ,وفي القرن الثالث عشر الميلادي قست الطبيعة الصحراوية ,وأنتشرت موجة من الجفاف ,فرحل الكثير منهم وسكنوا منطقة وداي وعراضة ,ومنهم من سكنة منطقة دارفور(**الإسلام والمسلمون في إفريقيا,عبدالرحمن زكي,ص135**) وهناك قسم كبير من التيدا نزحوا إلى الجنوب وسكنوا منطقة كانم الوسطى التي من أهم مدنها مدينة (ماو)و(بحر الغزال) , وقد أطلق عليهم العرب اسم القرعان وقد أخذ كتاب أوروبا بهذه التسمية , ولكن الطوارق أطلقوا عليهم إسما أخر وهو إكارادا ثم حرف إلى كريدا **(الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لأمبراطورية كانم,فضل كلود الدكو,رسالة دكتوراه,ط1سنة1998م,منشورات كلية الدراسات الليبية).**

والمصادر القديمة تبدي في وصفها لتلك القبائل وجود شبه كبير بين شعب التيبوا والأحباش ,فهم يتفقون في القوام الرفيع والأجسام النحيلة واللون البرونزي ,والسرعة الفائقة في العدو ,وتحمل العطش والجوع ,وميلهم إلى سكنى الكهوف ورؤوس الجبال ,ويتميزون أيضا بحدة النظر , وأن لغتهم سريعة وحادة كأصوات الوطاويط , وقد وصفهم المؤرخ الإغريقي هيرودت بهذه الصفات وأطلقت عليهم إسم(التروجلودايت) كما وصف الأحباش بأنهم سكان الكهوف .

والتيدا يتحدثون عدة لهجات ,وهي متقاربة في المعنى ,ولكن اللغة الشائعة السائدة عندهم هي (الدزاقا) وهي أقرب من حيث الصوت إلى اللغة الكانورية , وتختلف كل الإختلاف عن اللغة البربرية , وهم متعصبون للغتهم , ومع أنهم أعتنقوا الإسلام ,وبلادهم تقع في الإقليم المجاور لبلاد العرب في الشمال الإفريقي , إلا أنهم لا يحسنون التحدث باللغة العربية مع أن معظم كلاماتهم إما العربية الصرفة أو محرفة بعامل الزمن والأعجمية السائدة في المنطقة ومن هنا نتناول الحديث حول تأثير العربية على اللهجة القرعانية في الفقرة التالية.

المبحث الرابع

مظاهر تأثير العربية على اللهجة القرعانية

اللهجة صورة من صور اللغة المحلية أو الاجتماعية. وهي تمثل شكلاً من أشكال اللغة تتميز عن اللغة الفصحى أو الرسمية في قواعدها ومفرداتها ونطقها. وقد تقترب لهجة ما من الفصحى أو تبتعد عنها. فمثلاً نجد أن اللهجة التي يتخاطب بها المثقفون العرب أقرب إلى العربية الفصحى من أي من اللهجات المحلية. كما نجد أن بعض اللهجات العربية أقرب إلى بعضها من لهجات أخرى.
هناك عوامل جغرافية واجتماعية عدة تساعد على قرب اللهجات أو بعد بعضها عن بعضً وعلى نشوء اللهجات أصلاً. وكثيرًا ما يربط الناس بين المناطق الجغرافية وبين اللهجات؛ فنسمع مثلاً: هذه لهجة سورية وهذه مصرية أو مغربية أو أمريكية أو بريطانية، وقديمًا كان اللغويون العرب يربطون بين اللهجات والقبائل، فنجدهم يتحدثون عن لغة تميم ولغة قريش وغير ذلك. انظر: لغات العرب.
من أمثلة الاختلافات اللهجية في النطق مانجده في نطق الجيم العربية في سوريا مثلاً، والجيم القاهرية في مصر، ولهجات شرقي الجزيرة العربية ووسطها. وفي النحو نجد مثلاً أن بعض لهجات الجزيرة العربية تطابق في التذكير والتأنيث بين الصفة والموصوف في حالة الجمع مثل: أولاد طيبين، وبنات طيبات، بينما معظم اللهجات العربية الأخرى تستعمل صفة الجمع المذكر لجمع المذكر والمؤنث العاقل معًا، مثل: أولاد طيبين، وبنات طيبين. أما الاختلاف في المفردات فنجد أمثلة له في الكلمات المختلفة للبطيخ مثلاً حبحب، ركي، بطيخ ونافذة شباك، طاقة، دريشة...إلخ.
والظروف الاجتماعية لها دورها في اللهجات كذلك. ومن أبرز هذه الظروف التعليم ومستواه ومدى احتكاك المتكلمين بلهجة ما بالناطقين باللهجات الأخرى ونظرتهم إليها وغير ذلك. كذلك نجد لغات (لهجات) خاصة بأصحاب الحرف والمهن المختلفة يتميزون بها عمَّن سواهم. انظر: العامية الخاصة.(الموسوعة العربية ج10ص134)

إن المتتبع للهجة القرعانية بفروعها المختلفة من تبستي إلى كانم ليدرك تماما اثر العربية في كلماتها وأمثالها وحكمها مما حير الباحث كيف أن هذه القبيلة التي تعيش في وسط إفريقيا تتأثر بأمثال وحكم وكلمات العربية الفصحى لكن من ضمن القناعات التي توصل بها الباحث بأن هذه

القبيلة عاشت قرب دول شمال إفريقيا ولها علاقات أزلية مع الدول العربية في ظل مملكة كانم وفي ألآونة الأخيرة كان للهجرات الليبية إلى المنطقة أكبر الأثر في تأثير العربية على لهجات سكان المنطقة .

فمظاهر تأثيرها تنحصر في أمرين:

(1)مظاهر التأثير في الكلمات
(2)مظاهر التأثير في الحكم والأمثال

وهناك تأثير كبير للعربية في كلماتها وفي حكمها وأمثالها أيضا فهذه القائمة التي حصرها الباحث في بعض الكلمات من اللهجة القرعانية المتأثرة بالعربية الفصحية,ولم آت بجميعها نظرا لبعد الباحث عن البادية وكثرة مشاغلها الإدارية مما أدى حصر بعض منها في هذه العجالة

قائمة الكلمات اللهجة القرعانية المتواطئة مع اللغة العربية

الكلمة باللهجة القرعانية	الكلمة بالعربية	الملاحظات
كسار	كسار	مطرقة للكسر صيغت على وزن فعال
قف	قف	يقال عند إيقاف البقر
ورد	ورد	مأخوذ من ورود الماء
أوف	العفو	
ملم	معلم	حذف منه العين
علم	عالم	
فاقد	فقد الشيء	
حرم	حرام	
حلال	حلال	
أمر	عمر	
فرض	فرض	
إجر	أجر	
بركة	بركة	
إلم	علم	
جال	جهل	
نغمة	نغمة	
ضردو	الضرر	
الرو	الروح	

كسوقو	السوق	
لبدة	لبدة	

يدل الأصل الثلاثي (م ث ل) على معنى الشبه والنظير، يقول الزمخشرى: "والمثل فى أصل كلامهم بمعنى المثل والنظير"8، وذكر أحد الباحثين أن كلمة "المثل من المماثلة وهو الشيء المثيل لشيء يشابهه، والشيء الذى يضرب لشيء مثلا، فيجعل مثله، والأصل فيه التشبيه، ويقابله فى العبرانية mashal وفى اليونانية parable ومعناهما المماثلة والمشابهة"9.

وينقل زلهايم عن أبى عبيد القاسم بن سلام قوله فى مقدمة أمثاله: "..هذا كتاب الأمثال وهى حكمة العرب فى الجاهلية والإسلام ، وبها كانت تعارض كلامها، فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها فى المنطق بكناية غير تصريح ، فيجتمع لها بذلك ثلاث خصال: إيجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه"10.

ويقول الفارابي: "المثل ما ترضاه العامة والخاصة في لفظه ومعناه حتى ابتذلوه فيما بينهم، وفاهوا به في السراء والضراء، فاستدرّوا به الممتنع من الدرّ، وتوصلوا به إلى المطالب القصية، وتفرجوا به من الكرب المكربة، وهو من أبلغ الحكمة؛ لأن الناس لا يجتمعون على ناقص أو مقصّر في الجودة أو غير مبالغ في بلوغ المدى في النفاسة"11.

ويقول المرزوقى: "المثل جملة من القول مقتضبة من أصلها، أو مرسلة بذاتها، فتتسم بالقبول وتشتهر بالتداول، فتنقل عما وردت فيه إلى كل ما يصح قصده بها من غير تغيير يلحقها فى لفظها، وعما يوجبه الظاهر إلى أشباهه من المعانى، فلذلك تضرب، وإن جهلت أسبابها التى خرجت عليها"12.

فى هذه التعريفات توضيح لحقيقة المثل ، فهو يضرب فى حالات مشابهة لمورده الأصلى، كما يظل مثلا يضرب ، وإن جهل أصله ، ولا يغير لفظه فى أية حالة من حالة استعماله13.

فإذا ما انتقلنا للمحدثين الذين اهتموا بدراسة المثل نجدهم لايكادون يختلفون مع القدماء فى مفهوم المثل فمثلا يقول أميل يعقوب :" المثل هو عبارة موجزة بليغة شائعة الاستعمال، يتوارثها الخلف عن السلف ، تمتاز بالإيجاز وصحة المعنى وسهولة اللغة وجمال جرسها"14.

ويصف باحث آخر المثل بأنه" قول موجز سائر ، صائب المعنى تشبه به حالة حادثة بحالة سالفة"15.

ومن خلال هذا العرض يمكن أن نعرف المثل بأنه "هو تركيب ثابت شائع موجز، يستخدم مجازيا صائب المعنى ، يعتمد كثيرا على التشبيه".

وبناء على ذلك فهو يتسم بهذه السمات: الإيجاز البليغ والاستعمال الشائع، والتشبيه، وجمال اللغة، والثبات، والاستعمال المجازي، وجودة الكناية، بالإضافة إلى أنه قابل للاستخدام فى سياقات مختلفة، غير أن علاقته بتلك السياقات خاضعة لقواعد دلالية

خاصة .(الأمثال العربية والأمثال العامية مقارنة دلالية – دكتور علاء إسماعيل الحمزاوي)

الحكم والأمثال القرعانية

وسنتناول في هذه المقدمة لنكمل شق التحليل الدلالي للأمثال العربية وأمثال اللهجة القرعانية , حتى يتسنى لنا الوقوف على مدى الاتفاق بين معاني الأمثال العربية وغيرها ولا شك أن المثل يمثل حكمة الشعب وتاريخه , وهو الصورة الحقيقة الصادقة لحياة الشعوب والأمم وفي المثل الخبرات العميقة التي تمرست بها عبر أمد بعيد من حضاراتها, وهو الخلاصة المركزة لمعاناتها وشقائها وسعادتها وغضبها ورضائها , نجد في طيات الأمثال مختلف التعبيرات التي تمثل حياة مجتمعها وتصورات أفرادها بأساليب متنوعة وقد قيل : إن ضرب المثل لم يأت إلا رد فعل عميق لما في النفس من مشاعر وأحاسيس , نتيجة للمؤثرات الشعورية التي اختفت في العقل الباطن , فجاء سلوكه تعبيرا عن عمق المؤثرات التي دعت إلى ضرب المثل .

وهو يعد مصدرا خصبا لمن يريد أن يفهم الشخصية القومية ومذهبها الفطري في التفكير وفي الحياة بصفة عامة ,وبالتالي فرصد الخصائص الدلالية للأمثال إنماهو رصد لخصائص الشعب الذي ذاع فيه المثل وانتشر ولهذا نتناول في هذه الفقرة بعض من الأمثال والحكم القرعانية الذي توافق مع الأمثال والحكم اللغة العربية الفصحى

(1)ما كل مايحويه القلب ينطقه اللسان

(2)الطمع يسلبك ماعندك

(3) الزجرة الواحدة اقتادت أسراب البقر

(4) من لا يفهم بالكناية لا يفهم بالتوضيح

(5) إذا كان في بطنك قيحا فلفظه بصاقا

(6) رسول الأسد أكرم من وجه الثعلب

(7) الفراق سهل واللقاء صعب

(8) الشيء إذا نزل من السماء ستحويه الأرض

(9) البحر لا يرفض زيادة

(10) البئر الذي شربت منه لا تلقي فيه حجرا

(11) أصابع اليد لا تتساوى

(12) الكف الواحدة لا تصفق

(13) الدنيا يجعلك جوادا وحمارا

(14) حتى السن واللسان يصطدمان

(15) القلب أوله نار وعند زواله تكون رمادا

(16) أحشاء الرجل في وجهه

(17) ستجد رزقك ولو كان في فم الأسد

(18) فحل الحي أوشيخ الحي ليس له صوت

(19) قريبك الفقير وكلبك الذي قطع زيله لا تعرف بحبهما لك

(20) جالس قاتلا ولا تجالس سارقا

هذه هي غيض من فيض ووشل من بحر مماخطه يراع الباحث في الكلمات والحكم التي وقف عليها الباحث ومن خلا هذه الورقة أوصي المؤتمرون بالأتي:

(1)السعي إلى التعرف بالقارة الإفريقية وشعوبها وآدابها بغية الوقوف على مخطوطاتها العربية في مراكزها وجامعاتها ودور المشائخ.

(2)الإهتمام بآداب الشعوب الإفريقية وما لهم من أشعار مكتوبة بالعربية وغيرها لدراستها كأدب لشعب عرف العربية منذ أكثر من ألف

(3) الاهتمام ببناء مناهج للغة العربية تلائم البيئة الإفريقية، وتراعي جوانب المنهج المختلفة، وهذا يتطلب الاستعانة بالمتخصصين في المناهج وطرق التدريس وعلماء اللغة العربية واللسانيات والتقنيات التعليمية وغيرهم ممن يُحتاج إليهم.

(4)تشجيع الكتاب الأفارقة لموضوعات مؤصلة من تاريخ القارة سياسيا واجتماعيا وأقتصاديا وثقافيا

(5)الإهتمام بإنشاء كراسي بحثية لقضايا اللغة العربية والثقافة الإسلامية في الجامعات الإفريقية

(6)النظر بصورة مباشرة وبمساعي جادة لإنضمام تشاد إلى جامعة الدول العربية

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

د0إسحاق عيسى يوسف

نائب برلماني بجمهورية تشاد